

الاستلزام الحواري ودوره في مقصدية الخطاب. محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني أنموذجاً.  
The discursive approach and its role in the intentionality of the discourse. The writers'  
.lectures by Ragheb Al-Isfahani as a model

د. معمر بن الغويني

كلية الآداب واللغات جامعة عمار ثليجي الأغواط

Maamarn87@gmail.com

تاريخ النشر: 2021-01-29

تاريخ القبول: 2020-12-09

تاريخ التحكيم: 2020-11-29

تاريخ الإرسال: 2020-09-02

مَجَلَّةُ الْبَدَايَاتِ

جاء هذا البحث اللغوي ليطبق خاصية من خصائص البحث التداولي ألا وهي خاصية الاستلزام الحواري بأنواعه على مقتطفات من بعض الحدود المختارة من مدونة الراغب الأصفهاني باعتبارها موروثاً لغوياً ثرياً يحمل بين جنباته الفرائد والفوائد اللغوية المتنوعة من جهة ومن جهة أخرى محاولة تطويع المناهج الحديثة على النصوص التراثية العربية للوصول على مدى جماليتها ومدى تفاعلها مع البحث المعاصر كيف لا والنصوص التي تم التطرق إليها تصور مدى تطور عصر الأديب في النتاج اللغوي مما يخيّل إلينا أن جل المفاهيم اللغوية الراهنة هي عبارة عن مفاهيم موجودة في فكرنا العربي إما بالمقاربة أو المحاكاة ولربما جهودنا العربية أدق وأشمل.

الكلمات المفتاحية: استلزام، حوار، مقصدية، خطاب، أصفهاني.

### Abstract:

This linguistic research came to apply one of the characteristics of the deliberative research, namely, the characteristic of the discursive approach of all kinds on excerpts from some selected boundaries from the Al-Ragheb Al-Isfahani Code as a rich linguistic legacy that carries among its aspects the unique and varied linguistic benefits on the one hand and on the other hand the attempt to adapt modern curricula to the Arab heritage texts In order to reach the extent of its aesthetics and the extent of its interaction with contemporary research, how not? The texts that have been dealt with depict the extent of the development of the literary era in linguistic output, which makes it our imagination that most of the current linguistic concepts are concepts present in our Arab thought, either by approach or simulation, and perhaps our Arab efforts are more accurate and comprehensive.

**Key words:** invocation, dialogue, intentional, discourse, Esfahani.

## مقدمة.

شهد أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تطورا ملحوظا فى مجال الدراسات اللسانية وقدمت أبحاثا رائدة للغة فى مستوياتها الصوتية والتركييبية، والملاحظ أن هذا التطور لم يواكبه انشغال متعمق ببعض إشكالات الاستعمال اللغوى من قبيل أفعال الكلام والإحالة والافتراض المسبق والأقوال المضمره... و من ثم ظلت النماذج والنظريات اللسانية المختلفة تتحاشى هذه الإشكالات بذريعة أنها عصية البحث، فحقها أن يطوبها النسيان بيد أن التحولات المعرفية التى تفجرت مع خمسينيات القرن العشرين، أظهرت أنه من المتعذر الاستمرار فى تجاهل قضايا الاستعمال اللغوى فجاءت محاضرات " أوستن" وأبحاث تلميذه "سورل" لتعلن عهدا جديدا فى الدراسات اللسانية ولتؤرخ لثورة منهجية على النماذج اللسانية هى ثورة التداولية

يشار إلى التداولية غالبا على أنها دراسة استعمال اللغة فى سياق معين ويميل علماء اللغة أحيانا إلى مبانة التداولية مع علم الدلالة الذى بدوره يدرس معنى الجملة وهذا -ببساطة يعنى أن التداولية تختص بتقصي كيفية تفاعل البنى والمكونات اللغوية مع عوامل السياق لغرض تفسير اللفظ ومساعدة السامع على ردم تحصل أحيانا بين المعنى الحرفي للجملة والمعنى الذى قصده المتكلم

إن ما يسعى إليه التحليل التداولي هو محاولة الكشف عن النظام الدلالي المتحكم بين الحدود المختارة ، وما علاقة الحدود بالسياقات الواردة فيها ؟ وهذا النوع من التحليل يعلى فى الوقت نفسه من شأن منتج النص و متلقيه بقدر ما يسعى إلى إظهار ذلك التفاعل و التأثير بين النصوص المختارة ، ومن ثم لزم علينا الكشف عن آلية من آليات التداولية ، وهى الاستلزام الحوارى. حاملا بذلك عدة تساؤلات أهمها . من يتكلم ؟ و مع من يتكلم ؟ و إلى من يتوجه بخطابه ؟ .هل يمكن أن نقول شيئا ونحن نقصد به شيء آخر ؟.وعلى هذا الأساس جاء هذا البحث والموسوم ب الاستلزام الحوارى ودوره فى مقصدية الخطاب محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني أنموذجا والذى تم التطرق فيه إلى مفهوم الاستلزام وقواعده المعروفة وفى الأخير المقاربة التطبيقية على بعض الحدود المختارة من المدونة .

## 1- الاستلزام الحوارى:

تعد قواعد التخاطب اللساني متمثلة ب(الاستلزام الحوارى ومتضمنات القول بفرعيها : الافتراض المسبق والأقوال المضمره) من المباحث المهمة فى الدراسات اللسانية التداولية، لما تكشف عنه هذه الآلية من دلالات تعبيرية تؤديها الألفاظ عندما تتألف فى علاقات مع بعضها لأجل الكشف عن التواصل بين أطراف الخطاب فهذه العناصر من آليات إنتاج الخطاب، لأنها تقدم مقدرة تخدم المخاطب فى إيصال أكبر قدر من المعلومات قد لا تستطيع إيصالها العبارات المستعملة.

## 1-1 دلالة المفهوم:

من أهم الركائز التي تعتمدها التداولية فهو ألصقها بطبيعة البحث التداولي وأبعدها عن الالتباس في الجانب الدلالي إذ تعود نشأة البحث فيه إلى المحاضرات التي ألقاها " غرايس H.P.Gruice " عام 1967 في جامعة هارفرد قدم فيها بإيجاز انطباعاته لهذا الدرس ومرتكزاته الأساسية التي يقوم عليها وكانت نقطة البدء عند " غرايس " في المفهوم أن الناس في تبادلهم للحوارات فيما بينهم قد يقصدون ما يقولون أو يقصدون أكثر مما يقولون أو يقصدون العكس مما يقولون فركزت دراسته على إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، فما يقال هو ما تعنيه حقيقة اللفظ وما يقصد هو ما يريد المتكلم إبلاغه للمخاطب على نحو غير مباشر اعتماداً على كثير من المرجعيات التي معها يمكن أن يصل المخاطب إلى مراد المخاطب فأراد أن يمد صبراً تواصلياً بين ما يدل عليه القول من معنى حقيقي وما يحمله من معنى ضمني فنشأت عنده فكرة الاستلزام<sup>1</sup>.

فمن خلال هذا القول يتضح لنا أن " غرايس " اهتم بما يعرف بالقصد وما يعرف بالقول أما القصد فهو ما أراد المتكلم إيصاله إلى السامع من خلال تأويله الذهني، بينما القول هو ما أشار تركيب النص حرفياً، ومن خلال اهتمامه بدراسة المعنى، صنفه إلى صنفين المعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي .

و قد وضح " غرايس " مفهوم الدلالة غير الطبيعية بقوله " أن تقول أن القائل قصد شيئاً ما من خلال جملة معينة فذلك يعني أن هذا القائل كان ينوي وهو يتلفظ بهذه إيقاع التأثير في مخاطبه، تفضل فهم هذا المخاطب لنيته"<sup>2</sup> وبهذا نفهم أن " غرايس " اهتم بموضوع الدلالة غير الطبيعية لكونها ترتبط بمقاصد المتكلمين وما يدور في أذهانهم أثناء كلامهم، سواء ظهر ذلك بشكل صريح أو لم يظهر، ويطابق عبد الهادي الشهري تعريف الاستلزام الحوارى لدى " غرايس " والمفهوم لدى الأصوليين قال يعبر المرسل بالمفهوم بدلا من اقتصاره على التعبير عن قصده بالمنطوق والأصوليين يعرّفون بين منطوق الجملة ومفهومها ومنطوقها هو ما يتبادر إلى ذهن السامع مباشرة من السماع لهذه الجملة ومفهومها ما تستعمل له هذه العبارة بطريقة غير مباشرة، وقالوا مفهوم المخالفة ومفهوم الموافقة ويعيد تماماً ما يقصده " غرايس " باستلزام أثناء الحوار<sup>3</sup> وبهذا يمكن استنتاج الاستلزام الحوارى هو المعنى الثانى الذي لا يصرح به المتكلم ولكنه يظهر من خلال عملية التأويل والفهم .

## 2- مبدأ التعاون والاستلزام الحوارى :

بالاستناد إلى المعطيات السالفة يتضح أن فهم الملفوظات وتأويلها لا يعتمد فقط على معنى الجملة والسياق سواء اللساني وغير اللساني، وإنما يتركز على أيضاً على ما يبذله المتحاورون من مجهودات على إنجاح التواصل وهو ما سماه " غرايس " مبدأ التعاون وهو مبدأ يتأسس على أربع قواعد / مسلمات حددها فيما يلي<sup>4</sup>:

## الاستلزام الحوارى ودوره فى مقصدية الخطاب محاضرات الأدباء أنموذجا للأصفهاني

د. معمر بن الغوينى- جامعة الاغواط الجزائرى.

-قاعدة الكمية: وترتبط بكمية المعلومات اللازم توافرها

- اجعل مساهماتك تتضمن أخباراً كافية

- لا تجعل مساهمتك تتضمن أخباراً أكبر مما هو مطلوب

يوضح " غرايس " أن هذه القاعدة الأخيرة يمكن تنفيذها لأن توافر كم كبير لا يخرق مبدأ التعاون وإنما هو مضيعة للوقت فقط، فإذا تضمن نص ما تفاصيل كثيرة فإن ذلك يهدد التواصل بالانسحاق خلف بعض الجزئيات غير الضرورية ولهذا تكون صيغة هذا المبدأ " ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذى يقتضيه الغرض منه " <sup>5</sup> وهذا يدعو إلى أن تكون المساهمة الحوارية بمقدار ما يطلب فى مجال يتوسل إليه بهذه المساهمة تحدوه غاية الحديث المتبادل أو اتجاهه وهذا ما يخلصه القول المعروف "خير الكلام ما قل ودل "

المقاربة التداولية من خلال خاصية قاعدة الكم : بعد القراءة التحليلية لأهم الحدود التى جاءت فى المدونة -محاضرات الأدباء- نلتمس خاصية -الكم التداولية تتراوح بكثرة ومن الأمثلة نجد :

-باب من استدلل بعقله على كبر همته <sup>6</sup>

"...مَرَّ عمر رضى الله عنه بصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير رضى الله عنه فعد الصبيان ووقف عبد الله فقال له عمر مالك لا تذهب مع الصبيان ؟ فقال : يا أمير المؤمنين لم أجن إليك فأخافك، ولم يكن فى الطريق ضيق فأوسع لك، فقال عمر أي فتى هذا ؟..."

و التمثيل هذا وإن جاء موجزاً فهو يختصر لنا المعاني التى ربما لا نحصل على الموجز منها إلا بهذه الإستراتيجية التى حملت الألفاظ على قدور المعاني فالاستفهام الأول حمل معنى للأجوبة المحتملة دون سواها .

-مالك لا تذهب مع الصبيان ؟  
لم أجن إليك  
ليس فى الطريق ضيق  
كمية المعلومات اللازم توافرها

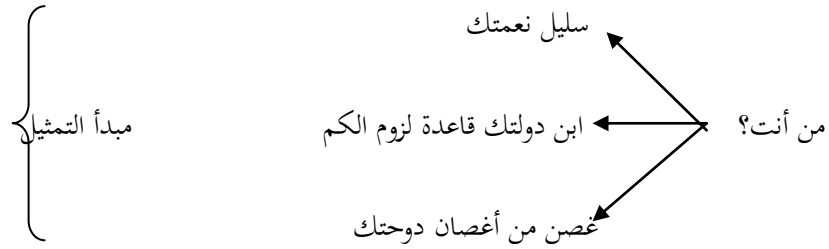
## الاستلزام الحوارى ودوره فى مقصدية الخطاب محاضرات الأدباء أنموذجا للأصفهاني

د. معمر بن الغوينى- جامعة الاغواط الجزائر.

و فى المثال الثانى :

دخل محمد بن عبد الملك ابن صالح على المأمون حين قبض على ضياعهم وهو صبي أمرد فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين : قال من أنت ؟ قال : سليل نعمتك، وابن دولتك، وغصن من أغصان دوحتك أتأذن لي بالكلام قال نعم : فتكلم بكلام حسن فقضى حاجته ...<sup>7</sup>.

نلاحظ من خلال هذا المثال صورة فى غاية القصر والاختزال تشير إلى حصول المعنى المراد من المخاطب بنيت على الطي والإيجاز وهى تحقق قاعدة الكم التداولية لم تتجاوز فيها الإفادة حد المطلوب وحملت معان أكثر دقة، أشارت لها الوحدات اللغوية الآتية :



و فى الإجابة الأخيرة تمثيل له لأن المقام استدعى ذلك فأسهمت فى إيضاح المعنى وبيانه فالمعاني التى يصل إليها القارئ بعد شيء من الجهد والتركيب والتحليل والتصوير والاستنتاج فيها من المتعة واللذة فى الكشف والوقوف عليها ما لا يخفى.

### 2.1- قاعدة الكيف:<sup>8</sup>

ويستند هذا المبدأ على ألا يقول المتكلم شيئاً يعتقد أنه خطأ وأن لا يقول شيئاً لا يمتلك الدليل على صحته.

-و لقد جاءت حدود " الأصفهاني " طبقاً لمحتوى هذه القاعدة مدعومة بالحجة والدليل على كل ما يتلفظ به .

### 2.2- المقاربة التداولية من خلال مبدأ الكيف:

ما جاء فى باب " النهي عن تضييع الوقت"<sup>9</sup> "

قال النبي صلى الله عليه وسلم : اغتنم خمسيناً قبل خمسٍ شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال سفيان : تذكر الماضى ورجاء الباقي ذهباً ببركة ساعاتك، وقال عمر بن ذر الأيام

إذا فكرت فيها ثلاثة، يوم مضى لا ترجوه ويوم أنت فيه ينبغي أن تغنمه ويوم فى يدك أمله فلا تغتر بالأمل فتدخل بالعمل فإنما اليوم وأمس كالأخوين نزل بك أحدهما فأسأت نزله وقراه فرحل عنك وهو ذام لك، ثم نزل بك أخوه فقال إن أسأت إليّ كما أسأت إلى أخي فما أخلقك أن تعدم شهادتنا...."

الملاحظ من خلال هذا المتن الذى يحمل فى طياته مواظ شتى ولعل الحديث جاء جامعاً لحياة المرء وكل الحجج التى جاءت هى حجج عقلية و نقلية وواقعية " فحصول اقتناع لدى المستمع لا يكون إلا بعد مطابقة القول الحجاجى لفعل صاحبه باعتبارها دليلاً وحجة مادية تستحب على المتكلم وتؤكد "10 كما لا يمكن إغفال دور المتلقي فى معرفة الحجاج فهو سبب إنشائه وهذا ما بين شدة مبدأ التعاون والمشاركة فى الخطاب التداولى كخطاب النبي حيث إنه ومن خلال إنشائه لمختلف أنواع الحجاج يعتبر - من خلال علو مكانته- الحجة والقُدوة فى حد ذاته لأنه رسول الحق ومبلغ الحكمة فى القول والتمثيل الذى جاء به " عمر بن ذر " وتشبيهه للأيام بالضيق نظراً للسياق الذى تحمله اللفظة فى حد ذاتها ولهذا يمكن اعتبار أن مستعمل الحجاج ينطلق مما يتصوره فى المتلقي وردود فعله الممكنة والمحتملة ولا يخفى على أحد أن مواظ العلماء لا تذكى إلا لذوي الألباب.

## 2 3- قاعدة العلاقة أو الملائمة:

و هى بمثابة حد مقصدي الهدف منها منع المتكلم من أن ينزلق إلى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التى استهدفها الخطاب، وتقول هذه القاعدة ليناسب مقالك مقامك<sup>11</sup> ويؤكد غرايس أن هذه المسلمة تخفى جملة من الإشكالات من قبيل : ما هى أصناف الملائمة الممكنة؟، كيف تتعدل خلال عملية التبادل الكلامى ؟ وما هى الإجراءات الطبيعية التى تساعد على تغيير موضوع المحادثة بطريقة مقبولة؟.

مسلمة الجهة : وهى مسلمة تختلف عن المسلمات السابقة فى كونها لا تعنى بما قبل وإنما بكيفية التعبير عما ننوي التعبير عنه وينص غرايس على وجود قاعدة جوهرية هى :

- كن واضحاً وتفرع هذه المسلمة القواعد الآتية:
- ليكن تدخلك واضحاً
- ليكن تدخلك موجزاً
- اجتنب الغموض
- اجتنب الالتباس<sup>12</sup>

وقد أوضح " غرايس " أن الغاية الموجودة من هذه المسلمات تتمثل فى ضمان فعالية عالية للتبادل الكلامى، دون أن يلغى ذلك إمكانية الحديث عن غايات أخرى، كأن يسعى المتكلم للتأثر عن الآخرين أو الاستئثار باهتمامهم<sup>13</sup>

و بما أن المقامات الخطابية بما تمثله من أوضاع سوسيو ثقافية هى التى تستدعى أقوالنا وتصوغ مقالاتنا التى تصوغ هى الأخرى بدورها أقوالنا وأفعالنا أو لنقل إن المقامات هى التى تفرض علينا أن نقول أقوالنا فتجعلنا نتكلمها كما هى أو نقول قولها كما هو<sup>14</sup> وتكون مرعاة اللفظ للمقام بمعان رئيسة من أهم مراعاة حال المخاطب واعتماداً على المعطيات السابقة للمقام يمكن تجديده شكله فى " محاضرات الأدباء " انطلاقاً من منشئه " الراغب الأصفهاني " ووضعيته ودوافعه وباعتباره إطاراً حدد الخطاب الإبداعى للطرح من مقدمات وقيم مترتبة يقول " طه عبد الرحمن " " لقد أريد بهذه القواعد التخاطبية أن تنزل منزلة الضوابط التى تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية فى الوضوح بحيث تكون المعاني التى يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية، إلا أن المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد ولو أنهما يدومان على حفظ مبدأ التعاون، فإذا وقعت هذه المخالفة فإن الإفادة فى المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصريح والحقيقى إلى وجه غير صريح وغير حقيقى فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معاني ضمنية" وهذا ما تمت الإشارة إليه فى باب السياق والمناسبة سابقاً .

### 3- خصائص الاستلزام الحوارى:

للاستلزام الحوارى عند " غرايس " خواص تميزه عن غيره من أنواع الاستلزام الأخرى وقد استطاع أن يضع يده على الخواص الآتية<sup>15</sup> (و سيعتمد هذا البحث مع التمثيل من المدونة).

### 3 1 الاستلزام ممكن إغاؤه:

ويحدث هذا بإضافة المتكلم قولاً سيد الطريق أمام المخاطب أثناء دخوله فى عملية التأويل للوقوف على المعاني الضمنية فيحول دونها مثاله ذلك " الحث على مصابرة السلطان"

" قيل : من لزم السلطان بصبر جميل وكظم الغيظ وطرح الأنفة وصل إلى حاجته، حكى أنه وجد مكتوب على باب " هراة" إنما يرتفع الأمر على باب الملوك بالبذل والعقل والتثبت، فكتب بعضهم تحته من كان معه هذه الثلاثة فهو مستغن عن السلطان، وقيل : من صحب السلطان احتاج إلى الصبر على قسوته، صبر الغواص على ملوحة ماء بجره".<sup>16</sup>

يتجلى الاستلزام فى متن النص على من له (صبر جميل وكظم الغيظ، طرح الأنفة) ظفر بحاجته ومما يستلزم ومن ذلك من خلا من هذه الصفات لم يظفر مما يرجو إليه ومما يلغى حاجة السلطان من النص من ملك (البذل، العقل، الثبات) لأنها صفات

من تمام المروءة فقد ألقى الاستلزام من الشرط الأول، وإضافة المتكلم للمقطع التمثيلى (الغواص وملوحة البحر) حال دون فتح المجال للتأويلات الأخرى أو بالأحرى (الاستلزام الحوارى) ما جعل المعنى واضحاً لأن التمثيل يعتبر بمثابة الشارح المبين لمقصد الكلام .

### 3 2 الاستلزام الذى لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالى :

ويقصد " غرايس " بذلك أن الاستلزام الحوارى متصل بالمعنى الدلالى لما يقال لا بصيغة اللغوية التى قيل بها فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها، ولعل هذه الخاصية هى التى تميز الاستلزام الحوارى عن غيره من أنواع الاستدلال التداولى مثل الافتراض المسبق وما نستطيع إدراجه كأمثلة موضحة لهذه الخاصية يظهر من خلال حسن تخيره لأسماء وعناوين الحدود من الكتاب فجعل خمساً وعشرين حداً جامعة لمسائل متنوعة ويشمل كل حد منها على :

المفهوم والمصطلح، مدحه، ذمّه، الحاجة إليه، عدم الحاجة إليه، الدعوة إليه، النهي عنه، من وصف به، من حُبب إليه، من كره له، ويختتم الحد بقصص ونماذج من لك .

و سار فى كل حدوده على هذه الطريقة، مثل :

الحد الأول : العقل وما يتعلق بهما<sup>17</sup>

-الباب الأول : وصفه، ذمه، المساورة، الحاجة، المدح والذم، من عُرف به، من عرف بهما، قصص ونماذج من ذلك ...

الحد الخامس والعشرون : فى فنون مختلفة<sup>18</sup>

الباب الأول : الحكم، الخصال المحمودة، وصفها من عرف بها، مدحها وذمها....

### 3 3 الاستلزام المتغير بتغير السياق :

أ. فالاستلزام غير ثابت يخضع للطبقات المقامية فىمكن التعبير واحد أن يؤدي إلى استلزامات مختلفة إذا ما تباينت السياقات وهذا ما يوضحه غرض الكتاب فهو وإن كان على ألسنة الحكماء والأدباء والشعراء بأسلوب تربوي هادف فكل حدوده لا يصلح بالدرجة الأولى لعامة الناس بل يتوجه بالدرجة الأولى إلى الفئة المتبصرة بعلوم اللغة لينتقل بعدها لعامة الناس بأسلوب بسيط ومن أمثلة ذلك قوله " باب من استنصر بمن يضره"<sup>19</sup>





" فى المثل كالمستجير من الرمضاء بالنار وصحب رجل رجلاً سيء الخلق فلما فارقه قال : قد فارقتة وخلقتة لم يفارقه، وقيل : لا مداراة للخلق السيئ القبيح كالشجرة المرة لو طليت بالعسل لم تثمر إلا مر أو كذب الكلب لو أدخلته القالب سنين لعاد إلى اعوجاجه ".  
4 3 الاستلزام يمكن تقديره :

بمعنى أن المتكلم بإمكانه أن يقوم بمجموعة من الاستنتاجات أو العمليات الذهنية بناءً على ما سمعه من كلام وصولاً إلى الاستلزام المطلوب بعيداً عن المعنى الحرفى باتباع استراتيجية خطائية تبدأ من مرحلة تحليل السياق بما فيها التأويل الذهني واختيار العلامات اللغوية المناسبة له وهذا ما جاء فى المثال السابق مثلاً " كالمستجير من الرمضاء من النار" وهي قصة لمثل بتحليله يوصلك للمعنى المراد وهذا الباب كثير من المدونة، وإذا كان " غرايس" قد سخر مبدأ التعاون وما يتولد عنه من قواعد لتحليل التواصل الإنساني وكشف أبعاده فإن ذلك لم يحل دون الاعتراض على بعض منطلقاته<sup>20</sup> " فمن الملاحظ أن هذا المبدأ موجه لخدمة الجانب التبليغي من الخطاب، لكنه يغض الطرف عن الجانب التهذيبي، ورب معترض يسوق ما صرح به غرايس حين قال هناك " هناك بطبيعة الحال مختلف القواعد / المسلمات الأخرى (الجمالية أو الاجتماعية أو الخلقية) مثل لتكن مهذباً التي تلاحظ عادة لدى المتخاطبين أثناء التبادل الكلامي والتي قد تولد معاني غير متواضع عليها " لكن هذا التصريح لا ينفي الإهمال الذي طال الجانب التهذيبي وذلك لعدة أسباب<sup>21</sup>

- أنه يفرد بالذكر بل جمع إليه التجميلي والجانب الاجتماعي بوصف هذه الجوانب جميعاً لا تستجيب للغرض الخاص الذي يُعجل للمخاطبة ألا وهو نقل الخبر على أوضح وجه.
- أنه لم يبين كيف يمكن أن نباشر وضع القواعد التهذيبي ولا كيف أن نرتبها مع القواعد التبليغي.
- أنه لم يتفطن إلى أن الجانب التهذيبي قد يكون هو الأصل فى خروج العبارات عن إفادة المعاني الحقيقية أو المباشرة ولما كان " غرايس" لمبدئه التعاوني قد جمد على النظر فى الجانب التبليغي من التخاطب .

### 5 3 - مبدأ التأدب واعتبار جانب التهذيب :

تودي اللغة وظائف مختلفة لعل أكثرها أهمية القدرة على تحقيق التواصل بين الأفراد، بما تتمتع به من طاقات صوتية وإشارية تخضع لقانون الاستعمال الذي يخرج اللغة من الموجود بالقوة إلى الموجود بالفعل يتم استعمال اللغة فى الحياة اليومية تبعاً لمجموعة من الشروط تضمن نجاح العملية التواصلية منها لاشتراك فى اللغة، والخضوع للقيود التي تفرضها ( اللغة ) بوصفها مؤسسة اجتماعية تم وجود الرغبة فى التواصل أو الحاجة إليه .



- يعد مبدأ التأدب التداولى الثانى الذى يبنى عليه التخاطب فهو الذى أوردته " روبين لاکوف Robin lakof" فى مقالتها الشهيرة " منطق التأدب"<sup>22</sup> وترمى فى هذا المقال الباحثين بتهمة التقصير والجمود لما يكتفى به أحدهم من الوقوف فى الدراسة اللغوية عند حد الشكل اللغوى والاكتفاء به للحكم صحة الجمل واتخاذ المعيار الوحيد فالانتصار على صحة المعيار التركيبى لوحده لا يفضى إلى تفسير مقبول لبعض التركيب، ولذلك تدعو إلى ضرورة الاهتمام بسباق التلفظ، بما فيه من افتراضات منطقية وأخرى تداولية لتصل فى الأخير إلى نتيجة مهمة ومفادها أنه يجب اعتبار المحتوى التداولى للفعل الكلامى وذلك عند الحكم على قبول الجملة تماماً كما كان ينظر إلى أهمية المستوى التركيبى عامة وكما ينظر حالياً إلى أهمية المستوى الدلالي<sup>23</sup>.

و قد فرقت (لاکوف) ثلاث قواعد عن مبدأ التأدب سمتها قواعد تهذيب الخطاب، إذ يتلفظ المرسل بخطابه وفقاً لواحد منها أو أكثر وهي<sup>24</sup> :

#### قاعدة التعفف ( التأدب بالآداب العامة ) :

أ. ومقتضاها هو : لا تفرض نفسك على المخاطب، ولا تتطفل على شؤون الآخرين.

ب. قاعدة التخيير: وهي لتجعل المخاطب يتخذ قراراته بنفسه ودع خياراته المفتوحة .

ج. قاعدة التودد: لتظهر الود للمرسل إليه، أي كن صديقاً .

فمقتضى قاعدة التعفف هو تجنب الإلحاح أو إكراه المرسل إليه على فعل ما يتحقق ذلك من خلال استعمال الخطاب الذى يبقى على البعد بين طرفي الخطاب، بالإبعاد عن الطلب المباشر مثلاً وعدم التطفل على شؤون المرسل إليه الخاصة إلا بعد الاستئذان<sup>25</sup>.

و لهذا المبدأ -قاعدة التعفف- حضور فى نص الأصفهاني -لاسيما من باب الفضل والثناء والمدح- فى المدح مثلاً - يقوم الشاعر بالجمع بين إيجابية الوجهين وجهه بوصفه متكلماً ووجه الممدوح لذا يصور المشاق والمخاطر التي كابدها فى صنع المكارم، ويعد العناء صورة إيجابية عنه ومن أمثلة ذلك ما جاء فى باب " المسابقة إل ى المعالي والرفعة والمجد وصيانة النفس"<sup>26</sup>

" مدح كاتب رجلاً فقال: فلان طالت إلى المساعي خطاه وبدء شأوه من ساعاه وجاراه وفى المثل لا شق غباره.

و قال أبو تمام :

محاسن أقوام تكن كالحبائث

محاسن أقوام متى تقوموا بها

و قال أحدهم :

ألبسه الله ثياب العلاء فلم تطل عنه ولم تقصر

و منهم قول المتنبي :

ليس له عيب سوى أنه لا تقع العين على شبيهه

-و مما جاء فى باب إكرام النفس :

" قال عمرو بن العاص " المرء حيث يجعل نفسه إن صانها ارتفعت وإن قصر بها اتضعت وقال بعضهم:

و ما المرء إلا حيث يجعل نفسه ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل

و هكذا نخلص من خلال الأمثلة السابقة أن مراعاة -مبدأ التأدب - جليلة فى النصوص السابقة لاسيما فى الشعر منها ليحقق الشاعر أهدافه فى التأثير على المتلقى أو السامع له، إنَّ إزام الشاعر ببعض من تلك المبادئ لا يعنى الحجز على حرته الإبداعية ولا فرض قيود (سلطانية) على تجربته الشعرية، وإنما يقصد بها إلى تهذيب هذه التجربة والسمو بها " فكلما حرص التداوليون على تمام الوفاء بالشروط الجمالية بإتقان التعبير وإبداع الصيغة حرصوا كذلك على الوفاء بالشروط التداولية ولا يعنى خضوع الجانب الجمالي للجانب التداولي حجراً على الإبداع -كما قد يتوهم بادئ النظر"<sup>27</sup> وإنما هو استحابة لقانون عام يحكم التواصل الإنساني بجملة وهو الذي يقتضى أن نجح التواصل لا يتم إلا بالاستحابة لمبادئ التداول من تعاون وتأدب ولباقة ....

و لما كانت هذه المبادئ تسمو بالتواصل العادي فهى، أولى بأن تسمو بالقول الشعري الذي يطلب فى أصله الكمال والجمال فكيف يترك الشاعر سمو وهو غاية مطلبه وأقصى ما ينشده.

أما قاعدة التخيير فتعمل أحياناً باتساق مع قاعدة التعفف كما قد تحل محلها أحياناً عندما لا يتناسب السياق فتعمل بمعزل عنها وتقترح قاعدة التخيير التلطف بأساليب دالة على تخيير المرسل إليه فى اتخاذ ردة الفعل المناسبة أو التلطف بأساليب الشك عند المرسل بدلاً من استعمال أساليب الجزم والإلحاح بحيث يدع للمرسل إليه حرية اتخاذ القرار<sup>28</sup>.

و مما جاء فى هذا الباب كثير من كلام الأصفهاني كون طبيعة مجلس كلامه الذي كان غالباً بين الأمراء والملوك والشعراء وبالتالى اختيار نسق الكلام من طبيعة التواصل بين المتخاطبين ونأخذ على سبيل المثال ما جاء فى " باب الصديق":



الحث على مشاركة الصديق فى سرائه دون سرائه:

" قالت امرأة يحيى بن طلحة له : أما ترى أصحابك إذا أسرت لزموك وإذا عسرت تركوك ؟ فقال : هذا من كرمهم يأتوننا فى حال القوة منّا على الإحسان إليهم ويتركوننا فى الضعف عنهم"<sup>29</sup>

إن من أدب هذه المرأة لزوجها خطابه بأسلوب التأدب مع خاصية التخيير فى نقد إخوانه ولكن بلباقة وكان الرد اختيارياً أيضاً لا تتم عملية الحوار بطريقة تأديبية نابعة من قوة إستراتيجية الخطاب .

المرسل (المرأة): أما ترى إذا أسرت لزموك ؟  
وإذا عسرت تركوك ؟  
أي قل فىم ترى

المرسل إليه (زوجها): هذا من كرمهم  
يأتوننا فى حال قوة  
ويتركوننا فى الضعف عنهم

-و يتبلور فى هذه القاعدة الاعتراف بمكانة المرسل إليه بوصفه طرفاً فى الخطاب، يتمتع بقدرات تؤهله للمشاركة فى إنجاز الفعل وتعد الملمحات الفعلية من أهم أدواتها " أما ترى " إن استعمالها بالرغم من ثقة المرسل فى كلامه ولكنه لا يريد إحراج المرسل إليه وكأنه يريد أن يطمئنه بأنه لا ترتيب فى اعتقاده، واستعمال هذه الأدوات إلى المواكبة بين ما تقتضيه " كل من قاعدتي التعفف والتحيز وذلك بتجنب التلغظ بالكلام المخرج من جهة ومنح المرسل حرته فى التأويل من جهة أخرى"<sup>30</sup>.

-أما قاعدة التودد فتقتضى أن يتودد المرسل إلى المرسل إليه بخطابه علامة على تأدبه معه إذ يقود ذلك إلى صداقة حميم بين طرفي الخطاب فيعوض ذلك ما يخلقه غياب الصداقة الحقيقية، كما يشعر المرسل إليه بالانتعاش لإحساسه بالتساوي مع المرسل، وذلك بشرط تكافؤ مرتبة طرفي الخطاب حقيقة أو بأن يكون المرسل أعلى مرتبة من المرسل إليه، أما إذا كانت مرتبة المرسل أدنى من مرتبة المرسل إليه فإن توسله بقاعدة التودد فى خطابه ينبئ عن طلبه للحرية مما يورث نتائج وخيمة على سير المحادثة<sup>31</sup>.

و مما جاء فى هذا الباب -قاعدة التودد- كثير لا سيما ما دار بين الملوك وعمامة الناس لبعده هوة الخطاب بين المرسل والمرسل إليه ونذكر من تواضع المأمون فى قول الراغب فى " باب تشبيه الممدوح بجماعة مختلفة" .



"... حكى محمد الأماطى الفقيه يوماً قال : قد تغدينا يوماً عند المأمون، فكان كلما وضع لون يقول : من به كذا فليأكل هذا، ومن به كذا فليأكل هذا ومن به هذا فليجنبه، فقال يحيى ابن أكثم : لله درك يا أمير المؤمنين فإننا إذا خضنا فى الطب فأنت جالينوس، وإن ذكرنا النجوم فأنت هرمس أو العلم فأنت على رضى الله عنه أو السخاء فأنت حاتم أو الصدق فأنت أبو ذر أو الكرم فأنت كعب بن ماجة فقال المأمون : للإنسان فضل على غيره بالنطق والفهم ولولا ذلك لم يكن لحمه أطيب ..."<sup>32</sup>

تتحلى خاصية التودد من هذا النص فى رد الخليفة المأمون على يحيى بن أكثم الفقيه العالم فى قوله " للإنسان فضل على غيره بالنطق والفهم" فتودد الخليفة حصر فى قوله (و الفهم) لرفع قيمة المرسل وعلو مكانته لأن فهمه لكلام الخليفة جعله فى مصادفة ومكانته الرفيعة ومن هنا نستنتج (لاكوف) إن هناك علاقة بين مبدأ التعاون والتأدب<sup>33</sup> وذلك من ناحيتين : الأولى ناحية اتفاق والأخرى اختلاف.

فيتجسد قاعدة التعفف خاصة الاتفاق وذلك من خلال إنتاج الخطاب بصورة رسمية، مما يقتضى وضوحه وهذا ما يفضى مبدأ التعاون بقواعده تحتها انطلاقاً من اعتماد المرسل على لأقصر الطرق فى تبليغ المعلومات إلى المرسل إليه، إذ يتجنب إهدار وقته، مما يبعد عن المرسل تمه الفضول عليه أو إحراجه، أما الاختلاف فيمكن فى أن إنتاج الخطاب وفق مقتضى قاعدتي التخيير والتودد هو خرق لقواعد مبدأ التعاون .

## نتائج البحث

نعرض فى نهاية هذا البحث ما تم التوصل إليه من خلال هذه المقاربة التداولية تحت خاصية الاستلزام الحوارى على الحدود المختارة من مدونة الراغب الأصفهاني جملة من النتائج أهمها .

- إن المقاربة التداولية تعلى من شان المتخاطبين فى سياق حديثهما مع مراعاة النسق الاجتماعى بينهما بالإضافة إلى مراعاة الخطاب فى حد ذاته
- للمصطلح التداولى جذورا فى التراث العربى القديم - وربما أدق من هذا المفهوم - كالكناية والتعريض والتلويح وغيرها
- للاستلزام الحوارى مكانة عالية فى نصوص الراغب لا سيما ما جاء فى حديث الأمراء والملوك وهذا راجع لطبيعة العصر الذهبى الذى عاش فيه الراغب وهو العصر العباسى .

## الاستلزام الحوارى ودوره فى مقصدية الخطاب محاضرات الأدباء أنموذجا للأصفهاني

د. معمر بن الغوينى- جامعة الاغواط الجزائر.

- ساهم الاستلزام الحوارى فى مدى نصية النصوص أى له دور كبير فى اتساق النصوص وانسجامها كيف لا وهو يراعى سياق المتخاطبين والهدف والنسق الاجتماعى .
- بين الاستلزام الحوارى مكانة المرسل إليه فى أغلب المواضيع خاصة ما جاء فى باب الحديث بين الأمرء وعامة الناس وهذا ما يعكس مدى براعة المرسل إليه على الرغم من دنو منزلته الاجتماعية .
- أدى الاستلزام الحوارى دورا هاما فى إبراز اللغة وجماليتها خاصة ما جاء منها فى الأقوال المضمرة التى تجعل كل من المرسل والمرسل إليه على دراية بمخزونها اللغوى والثقافى .
- وفى الأخير نقول إن تطبيق المقاربة التداولية بخاصية الاستلزام الحوارى على موروثنا الأدبى من أوسع المقاربات وأدقها كيف لا وهى نصوص تحمل الزخم اللغوى الواسع مما يتيح للدارس تطبيق عدة آليات فى سياق واحد و لربما جنح للمفهوم البلاغى العربى القديم كالكتابة والتعريض والتلويح وغيرها .

### الهوامش:

- 1- محمود نحلة ، آفاق جديدة فى البحث اللغوى المعاصر ، دار المعرفة الجامعية (د.ط)2002ص 32
- 2- آن روبل جاك موشلار ، التداولية اليوم علم جديد فى التواصل ، تر:سيف الدين دغفوس و محمود الشيبانى ، دار الطبعة للنشر بيروت -لبنان، ط1، 2003، ص 55
- 3- عبد الهادى بن ظافر الشهري : إستراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد ليبيا ط1، 2004.
- ص 429
- 4- جواد ختام ، التداولية أصولها و اتجاهاتها دار كنوز المعرفة للنشر عمان ، ط1، 2016.ص 101
- 5- طه عبد الرحمن ،اللسان و الميزان أو التكوثر العقلى ، المركز الثقافى العربى ، الدار البيضاء ط1، 1998، ص 237
- 6- الراغب الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء و البلغاء تح:عمر الطباع شركة دار الأرقم ط 1 بيروت 1999. ج 1، ص 79
- 7- الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ج1، ص 80
- 8- مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية فى التراث اللساني العربى ، دار التنوير للنشر الجزائر ط1، 2008.ص 46
- 9- الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ج2، ص 420
- 10- عبد السلام عشير ، عندما تتواصل نغير ، ص 134
- 11- طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 238
- 12- جواد ختام التداولية أصولها و اتجاهاتها ، ص 105
- 13- نفس المرجع ص106
- 14- طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلى ، ص 239

## الاستلزام الحوارى ودوره فى مقصدية الخطاب محاضرات الأدباء أنموذجا للأصفهاني

د. معمر بن الغوينى- جامعة الاغواط الجزائرى.

- 15 محمود نخلة ، آفاق جديدة فى البحث اللغوى المعاصر ، ص 39/38
- 16 -الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ج1، ص 242
- 17 -الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ، ج2، ص 25
- 18 -نفس المصدر، ص 742
- 19 - الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ، ج1، ص335
- 20 -جواد ختام ، التداولية أصولها و اتجاهاتها ، ص 105
- 21 -طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلى ، ص 240/239
- 22 - طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلى ص 240
- 23 -عبد الهادي بن ظافر الشهرى ، استراتيجيات الخطاب ، ص 99/98
- 24 -طه عبد الرحمن ، نفس المرجع، ص 242/241
- 25 -عبد الهادي بن ظاهر الشهرى استراتيجيات الخطاب ، ص 102/101
- 26 -الأصفهاني، محاضرات الأدباء ج1، ص 358
- 27 -عبد الله بىرم ، التداولية و الشعر قراءة فى شعر المديح فى العصر العباسى، عمان ط1، 2014، ص82
- 28 -الشهرى ، استراتيجيات الخطاب ص 101
- 29 -الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ج1، ص 16
- 30 -الشهرى ، استراتيجيات الخطاب ، ص 103
- 31 -طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلى ، ص 241
- 32 -الأصفهاني ، محاضرات الأدباء ج1، ص 373
- 33 -عبد الهادي بن ظافر الشهرى ، استراتيجيات الخطاب ، ص 103

